صفحات من الذاكـرة

●● الرعيل الأول في الكويت تخضرموا فترتي ما قبل النفط وما بعده، فقاسوا مر الاثنتين وذاقوا حلاوتهما، عملوا وجاهدوا وتدرجوا، رجالا ونساء، الى ان حققوا الطموح او بعضا منه، ومهما اختلفت مهنهم وظروفهم، فان قاسما مشتركا يجمعهم هو الحنين الى الايام الخوالي، «القبس» شاركت عددا من هؤلاء الافاضل والفاضلات في هذه الاستكانة ●●

أجرى الحوار: جاسم عباس

ملا رجب أشكناني يروي ذكريات ١٠٥ سنوات من عمره

● ملا رجب علي أشكناني

● .. مع أولاده

■ فقدت البصر عام ١٩١١ سنة الرمد الحبيبي

في مستهل لقائنا مع رجب علي محمد قاسم أشكناني قال: غاب بصري وعميت عيناي فاختفى كل شيء امامي، لكن البصيرة اشرقت ولم اكن عمي القلب (اي: جاهل).

فقدت الجوهرتين وكان عمري ٥ سنوات، ولكن الله سبحانه وتعالى عوضني بتلاوة القرآن منذ الصغر، والمدائح النبوية، والنواح على اهل البيت. منذ صغري احببت الاحسان الى الفقراء وأكثرت من الصلاة والصيام، حفظت جزء ٣٠ من القرآن الكريم (جزء عم) على يد ملا وهب وعمري ٧ سنوات، وعرفت كيف أسلك الطريق بفضل الله تعالى، حتى اشتهرت بـ «ملا رجب».

قسط الدراسة شهريا نصف روبية

وقال ملا رجب: ٩٨ سنة قضيتها أعمى درست عند ملا وهب، وختمت القرآن الكريم عند الملا محمد عبدالله آتش الذي ولد عام ١٨٨٥م، مدرسته كانت بمنطقة الميدان، وانتقل الى الشرق بجانب مسجد شعبان ١٩٥٠، وقد كان اهالينا يدفعون له نصف روبية شهريا، والدراسة على فترتين صباحا ومساء، ومن التلاميذ الذين درسوا معي: سلمان الانصاري، علي منصور المزيدي، احمد بهمن واخوانه، عبدالحسين رضا اشكناني، واسماعيل الجزاف، وقاسم خضير، ومحمد اليتيم، وعلى ما اذكر كانت المدرسة بالقرب من حضرة الروضان، اذهب اليها سيرا على قدميّ من الحي القبلي بُراحة عباس الى المدرسة بين السكيك وبيدي خيزرانة كانت دليلي، وكان احد الاولاد يكتب لي ما يدرّسه المعلم (الملا)، وفي البيت احفظه بمساعدة اخواني.

واضاف: في عام ١٩١٠ تقريباً ظهرت فكرة التعليم النظامي، وبذلت الجهود من اجل انجاح المدرسة النظامية، وهذا الوفاء والنبل والشرف صفات الرجال الذين اهتموا بالتعليم، وعرفوا ان العلم نور الله، لا يهتدي اليه الا الموفق السعيد، اساتذتنا سادة الدنيا، هم عرفوا قدر العلم فصانوه، فرفعهم الله الى اعلى منزلة.

وقال ملا رجب: اشكر الدكتور عبدالمحسن عبدالله الخرافي الذي قدم حوالي ثلاثمائة مرب في كتاب «مربون من بلدي» وهذا دليل الوفاء والاحترام للاولين وحبٍّه لبلده.

استقرينا ببراحة عباس

وعن الاصول قال: جدي خرج من اشكنان بسبب الجفاف، وفي عام ١٩٠١ خرج من جزيرة لنجة الى بوشهر والبحرين واستقر في تلك السنة في براحة عباس، تلك البراحة الواسعة التي فيها ذكريات الآباء والاجداد، ومحببة لنفوسنا، كان الاولاد يتخذونها مكاناً للعبهم، وكنا نقول «من تعشى تمشى والوعد البراحة»، وبراحتنا مشهورة وتنسب الى عباس خورشيد صاحب البقالة الوحيدة، والى عباس علي كما يقال، صاحب اللواري التي تنقل الحجاج، وصاحب البركة المشهورة، براحة معروفة مع عدد من البرايح في الكويت اشهرها: براحة مبارك - الماص، براحة حمود الناصر - السبعان - الدبوس - الشيوخ.

اما جيراننا في براحة عباس فأذكر منهم: عبدالله النامي - اولاد ابو شعبون - الحميضي - الخرافي - البدر، وشاوينا شاوي «مزيد» وبالقرب منا مسجد المهارة الذي اسسه علي بن حمد، وبناه صنكور المهري سنة ١٣١٨هـ، تقريبا عام ١٩٠١م، ودائرة الاوقاف جددته عام ١٩٥٠، وحضرة النامي التي تتجمع فيها السيول والامطار، وفي كل حي في الكويت هناك حضر كثيرة، وفي فريجنا ياخور (جاخور) الحميضي ارض محوطة كانت تتخذ حطيرة للحيوانات واللفظة فارسية «آخور»، والتاريخ يذكر لآل الحميضي خدماتهم الجليلة خاصة سنة الهدامة، ادخلوا المتضررين الذين هدمت بيوتهم في هذا الجاخور بعد تنظيفه واعداده للسكن، ونحن سكنا حوطة عبدالعزيز العنجري، وفيها غرفتان بعد ان هدمت الامطار بيتنا.

يضيف الملا رجب: جدي توفي عام ١٩٠٢ دفن في المقبرة العتيجة (القديمة) داخل دروازة العبدالرزاق القريبة من الصوابر بين شارع مبارك الكبير واحمد الجابر.

وعن سكنه الثاني بعد براحة عباس قال ملا رجب:

سكنا جنوب القبلة في فريج الصالحية، جاءت التسمية نسبة الى المرحوم الحاج ملا صالح، الذي أسس مسجدا في تلك المنطقة عام ١٩١٩، والمرحوم ملا صالح كان سكرتير حكومة الكويت منذ حكم الشيخ مبارك الصباح. وكنا نسميه «رئيس الكتاب» حتى سنة ١٩٤١.

كيفان.. والأوبئة

وذكر الملا موقع سكنه الثالث «كيفان» منطقة كانت غنية في الماضي بآبار المياه للشرب، وكان ماؤها اعذب من ماءالشامية والعديلية، وفيها تكوف من الرمال على شكل تلال صغيرة، وجاءت الكلمة بكوفان فقالوا: كيفان، وقالوا عنها ان ماء كيفان يكيف من شربه لحلاوته وعذوبته.

وعن الأوبئة تحدث، فقال:

كان الأهالي معرضين في الماضي الى ما يشبه الفناء بسبب انتشار الوباء الذي كان لا يقاوم بصرف اللقاء.

اضاف ملا رجب: ما كنا نسمعه من الاجداد ان ديرتنا تعرضت الى الطاعون المرض الخطير الذي قدم من البصرة، وطاعون آخر تعرضنا له في عام ١٨٣١ فتك بأهل العراق والكويت، وعرفت السنة ب»سنة الطاعون».

وكما ذكر لي والدي رحمه الله ان الدواب بقيت سائبة ليس عندها من يعلفها ويسقيها حتى مات اكثرها، وهناك شاعر مشهور هو محمد بن لعبون الوايلي توفي في الكويت بهذا الطاعون، وبالدعوات الى الله تعالى رفعت عنهم هذه النازلة الفظيعة حتى توقفت الاصابات.

وذكر الملا الكوليرا والجدري والانفلونزا عام ١٩١٨ عرفت بسنة الرحمة كان عمري ١٣ سنة، قدرت عدد الوفيات بأربعة آلاف شخص، واستمر المرض حوالي ٣٠ يوما، والجدري اصابنا عام ١٩٣٢ على مدى ٢٧ سنة كان في فصل الصيف، وضحاياه بلغوا حوالي ثلاثة آلاف وفاة، اوبئة كثيرة تعرضنا لها منها: السل الذي سميناه «ضيق» وامراض العيون الرمد الحبيبي والترخوما وكانت من الاسباب الرئيسية لفقدان البصر، انا واختي نساء فقدنا البصر بهذا المرض عام ١٩١١، وفي عام ١٩١٦ تعرضت الكويت ايضا الى امراض العيون ايضا، وبسبب وجود المحجر الصحي والارسالية الاميركية عولج الكثيرون، ولكن اغلق المستوصف في عام ١٩١٨، واعيد فتحه في ١٩٢١، وكان الاطباء يزورون المنازل، كل هذه المعلومات التي سمعتها من الاولين كنت اطلب من اخواني وابنائي واصدقائي ان يسجلوها للمستقبل.

أذهب إلى المدرسة ودليلي خيزرانة
أحد رفاقي يكتب الدرس فأحفظه في البيت بمساعدة إخواني

الجفاف أخرجنا من اشكنان إلى بو شهر والبحرين ثم براحة عباس في الكويت عام ١٩٠١

سكنت كيفان ذات الماء العذب وتكوف الرمال فيها أطلق عليها هذا الاسم

٩٠ سنة قضيتها بين المساجد والحسينيات في قراءة القرآن الكريم والأدعية

مالد

وتحدث عن حفل زواجه بطريقة الأدعية والتواشيح حفلة تسمى «مالد» أو «موجب» يقام فيها الذكر وبعض من الآيات القرآنية والمديح للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، والمالد أنواع منه: القيام، والختم، والقادري، والنكازي.

قال: أتذكر بعض الأبيات في ليلة زفافي سنة ١٣٦٩هـ والمهر كان ١٠٠٠ روبية:

صلاة دوام ما غنى الهزار
على طيب الذكر عالي الفخار
بشير نذير سراج منير
بني سعيد من عنى وزار
حدا باسم ليلى الحويدي وسار
وأضرم في الجسم والقلب نار
ونادى الحداة الرحيل الرحيل
فسرنا على البدن نطوي القفار
فلما تجلى سناها لنا
على باب ليلى خلعنا العذار
فقمنا بذل على بابها
فطاب لنا الذل والإنكسار

وقال ملا رجب: لكي أذكر أبنائي بالأناشيد التي كنا نرددها دائماً، وكانت تقوينا بالدين، وتذكر بخاتم الأنبياء ونحن صغار، وكم أتمنى أن يحفظ هذا «المالد» الذي فيه المدح والإطراء لحبيبنا محمد (صلى الله عليه وسلم):

ومحيا كالشمس منك مضيءٌ
أسفرت عنه ليلة غراءُ
ليلة المولد الذي كان للدين
سرور بيومه وازدهاء
يوم قامت بوضعه ابنة وهب
من فخار ما لم تنله النساء
وأتت يومها بأفضل مما
حملت قبل مريم العذراء
مولد كان منه في طالع الكفر
وبال عليهم ووباء
وتوالت بشرى الهواتف ان قد
ولد المصطفى وحق الهناء

وكنت أسمع الترديد عقب كل مقطع يردد القارئ

عطر اللهم قبره الكريم
بعرف شذى من صلاة وتسليم

(اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله وأصحابه).

وتحدثنا عن «اليسرة» وهي طريق صخري على ساحل البحر يمتد في المياه حوالي ٣٠٠م موقعه بجانب الوطية في الحي القبلي، وعندما تبشر مياه البحر مع ظاهرة الجزر تشاهد قاع البحر، فيظهر الطريق الصخري «اليسرة»، اثناء ذلك يرتاده الناس قديما للسباحة أو السهر في الليالي المقمرة، واليسرة كانت في الحي الشرقي وبنيد القار والنساء يستغللن هذه الفترة بغسل ملابسهن لا بصفة دائمة، واليسرة القبلية قال عن موقعها الملا رجب: دخلت في التنظيم غرب فندق شيراتون، واليسرة مكان ميسور ضد المعسور الضيق، وأيضا تعني الكلمة: المكان متهيأ ويسير، وكنت أحدق مع محيي رمضان ابو شعبون وأنا ضرير، وإذا لم نحصل من الصيد شيئا انتقلنا إلى نقعة العثمان المشهورة المسورة بالصخور البحرية لصد الأمواج، وفيها كانت السفن ترسو، وتصلح الزوارق، والتنظيف كان جاريا في حالات الجزر.

كنت أحدق وأنا ضرير وعملت مع أخي في بيع المعاطف في سوق الحلوى

أحج عن الموتى

وعندما سألته عن طبيعة عمله خلال هذه السنوات، قال: من هو الأعمى حقا؟ أهو ذاك الذي يرى ولا يعرف، أم ذاك الذي لا يرى ويعرف؟ وكل ما أقوله ان الأعمى هو من لا يعرف، فأنا ضرير ولكني قضيت ٩٠ عاما في المساجد والحسينيات أقرأ القرآن الكريم والأدعية، وفي التعازي والمآتم في الحسينيات قرأت اللطميات، وصعدت المآذن قضيت سنوات من عمري مع سيد جواد القزويني - رحمه الله - العالم الكويتي المشهور، حفظت الأحاديث على يده وأشرحها في مسجد المزيدي، الذي بني كما قال الآباء في ١٣١٠هـ الموافق ١٨٩٠، على نفقة - المرحوم - الشيخ محمد المزيدي، وكان - رحمه الله - من أمَّ المصلين في البداية، ثم من بعده سيد جواد، وسيد زين العايد، وسيد علي سبر، وسيد صباح سيد علي شبر، ما زال يصلي بالناس.

ويضيف ملا رجب: كنت أقيم الآذان مع سيد زلزلة والحاج جعفر المسري، والشيخ حبيب المزيدي، وقرأت الأدعية في حسينية سيد علي الموسوي في حي الشرق، ما زالت قائمة، ومن الأعمال التي مارستها في حياتي وأنا ضرير «الحج النيابي»، أحج نيابة عن الموتى بعد أن أكلف من أحد أبنائهم، ومن شروط النائب: البلوغ، العقل، الإيمان، معرفته بأفعال الحج وأحكامه، وكنت أزور العتبات المقدسة، إنابة أيضا عن العجزة، والهرم، والمرضى.

وذكر الملا أن المجتمع الكويتي لم يكن من قبل يعرف الأسود والأبيض أو الطويل والقصير، مجتمع راعى البناء الاجتماعي ليبقى سليما قويا، فكانت العقيدة سليمة من الضعف والخلل، وكان الفهم السليم الواعي العميق لدين الله، كان أحدنا مع نفسه وإخوانه وجيرانه يصفّي النفس وينظفها من أدرانها، وإذا جلسنا عالجنا القلب من أمراضه الباطنية، مجتمع كان يعرف واجباته وملتزما بالعمل، لا نعرف الشر، وإذا عملنا أو مشينا فلا نعرف الأعمى من البصير، فكان «توحيد الله» هو شعارنا، لم نعرف المحتاج من غيره. وللأسف، أرى الآن مواضع الفتنة، ولا صلاح للمجتمع، ونحن كلنا للكويت، نعمل وننورها بالمحبة والرحمة والبناء، «ولا إله إلا الله» شعارنا، من هنا نبدأ الإصلاح، من هنا تتسلم القلوب ربها ووطنها، ولن نخطو خطوة إلا لأجل الكويت.. من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحافظ على تراب هذه الارض، لا نريد حياة التمزق والتشتت، حياة العبث والضياع والذل والمهانة، فلنتفتح لبلدنا لتصفو الأرض والسماء للكويت، ويتلألأ النور في أفواهنا.

ليالي الكركيعان مكسرات وحلويات.. وهوشات لكن مجتمعنا كان قويا وسليماً لا يعرف الشر

سوق الحلوى

ومن الاعمال التي مارسها، قال: عملت مع اخي المرحوم عبدالله في سوق الحلوى المتفرع من سوق الخضرة والغربللي، ويضم عدداً من الدكاكين معظمها في بيع الرهش والحلوى والزلابية، ونحن كنا نبيع «المعاطف» (البوالطو)، كان الكويتيون يلبسون البالطو فوق الدشداشة، ومن اللون نفسه يقولون انه لابس (غاط) اي البدلة الكاملة، كنا نستورد من انكلترا، واحياناً نشتري بالجملة من عبدالله بن العيسى والمحلات كانت للحكومة، وايجار محلنا «٥ روبيات» واول نكله (ربطة) اشتريتها بروبيتين وبعتها بـ١٥ روبية، واتذكر الحلوى الكويتية القديمة التي كانت تصدر، كما كانت سفن السفر والغوص تأخذ معها كميات كبيرة، ويسمون حلوى السفر (للزهاب) اي المادة الغذائية التي يأخذها المسافر معه للاكل او لاهدائها.

هوشة كركيعان

وتحدث عن ليلتي الرابع عشر والخامس عشر من شهر رمضان اي ليلة النصف من رمضان المبارك، فقال ملا رجب اشكناني: كانت اكياس القرقيعان تتدلى حول اعناقنا، والمنافسة بيننا حول الكمية التي نجمعها من المكسرات والحلويات، كنا نجتمع في (براحة عباس) ونسير بين الاحياء ونردد اهازيج الكَركيعان واناشيده، وكنا نتعرض للضرب من اولاد فريج الصقر والبدر والخرافي، وايضاً كنا نحن نتعرض لهم، حتى احدهم اراد ان يسرق الكيس من رقبتي لانني اعمى فتمسكت به حتى انقذني اخواني، وكان «ابو طبيلة» يشاركنا في جمع القرقيعان ومعه حماره.

وقال: ليالي الكركيعان لا تخلو من الهوشات (مشاجرة) نصل الى التشابك بالايدي، ورمي الحجارة، والمعجالة عبارة عن خرق نضع الحجارة فيها ونحذفها على الفريق المضاد، وبعد ان كبرنا صرنا اخوة، ما يحب لنفسه يحب لاخيه، واذا التقينا الآن نتحدث عن الشطانة ايام زمان، واصبح الخير للجميع، وهذه منزلة عالية ودرجة سامية عند الله تعالى، وهذا ما تعلمنا وتربينا عليه، وكما سمعنا «واني لاسمع بالغيث قد اصاب بلدا من بلاد المسلمين فأفرح ومالي به سائمة».

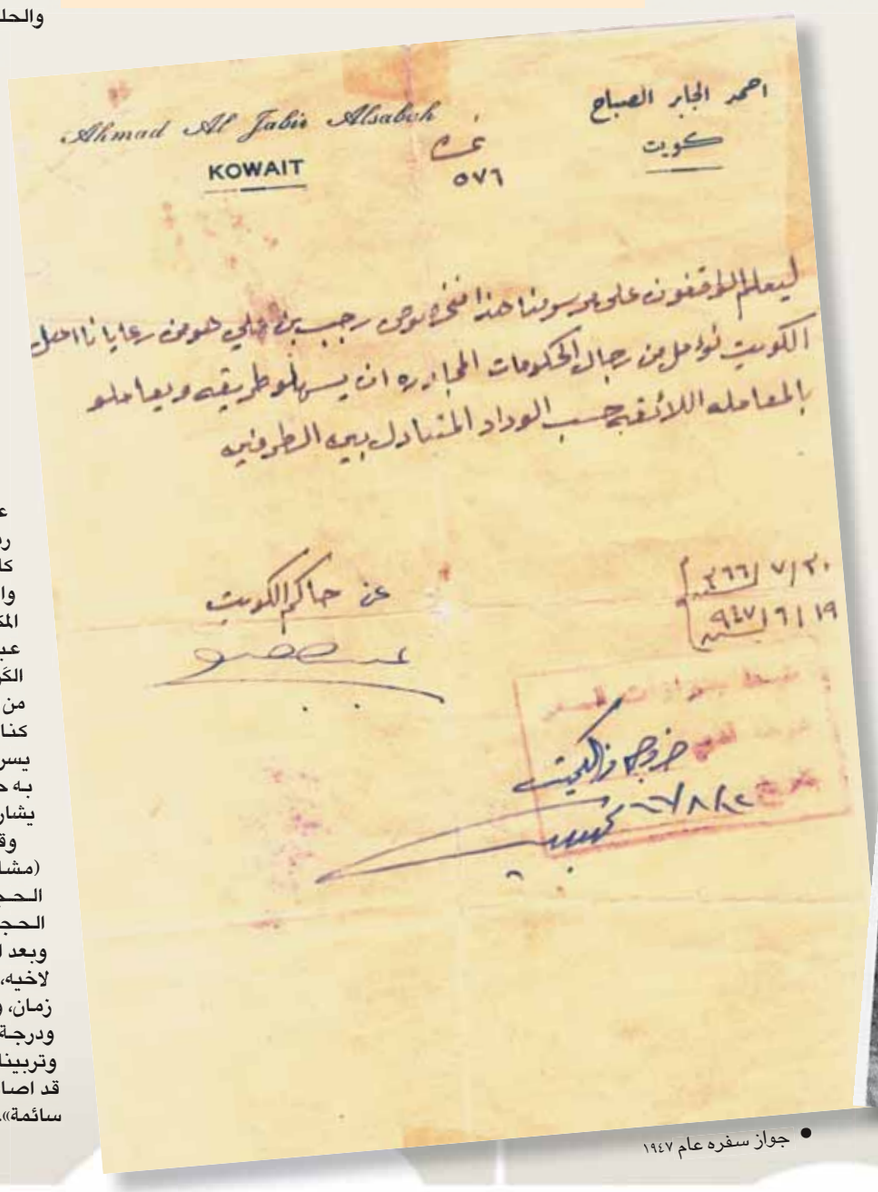

احمد الجابر الصباح
كويت
Ahmad Al Jabir Alsabah
KOWAIT
ع
٥٧٦

● جواز سفره عام ١٩٤٧

● .. ومع أصدقائه